محمد بن الحسن الحجوي(1874-1956) رائد الإصلاح الشامل في المغرب الأقصى.

أ. عبد القادر قوبع*

يعد موضوع الإصلاح موضوعا حيويا في الكتابات التاريخية والفلسفية والفكرية، التي تناولت أصوله ومظاهره ورواده وإنجازاته ونقائصه...

وفي المغرب الأقصى الحديث والمعاصر نجد كتابات كثيرة متنوعة تناولت هذا الموضوع من وجهات نظر مختلفة تاريخية أو دينية أو سياسية أو فلسفية... غير أن المثير للحيرة والتساؤل هو أن جزءا من هذه الكتابات قد سلك مسلكا انتقائيا في دراسة الإصلاح المغربي ورواده أو في تجاوز شخصيات إصلاحية ومحطات لا يمكن تجاوزها قياسا على إسهاماتها في هذا الإصلاح.

وشخصية محمد بن الحسن الحجوي(1874-1956) إحدى هذه الشخصيات التي تعرضت لإقصاء لا يجد له مبررا موضوعيا، بخاصة في المراحل الأولى من الكتابات الفكرية والتاريخية المغربية التي تناولت الإصلاح في المغرب الأقصى، رغم أن الحجوي يعتبر رائدا للإصلاح الشامل في المغرب المعاصر.

فما هي أسباب هذا الإقصاء؟ وما هي إسهامات الحجوي في الإصلاح المغربي؟ وهل يحق لنا أن نعتبره رائد الإصلاح المغربي الشامل؟

1- محمد بن الحسن الحجوي الغائب الأكبر في الكتابات المغربية: ساهمت طبيعة الاستعمار الذي تعرض له المغرب (الحماية) في صياغة رد الفعل الوطني في شكل عملية إصلاحية طويلة العمر، نضجت في مراحلها الأخيرة في تشكيل سياسي مطالبٍ بالاستقلال. ومنه جاء الاهتمام الأكاديمي بالإصلاح كعامل أساسي ومباشر في ظهور الحركة الوطنية المغربية وارتباطها العضوي به.

لهذا تتفق الدراسات المغربية على اعتبار الإصلاح أرضية صلبة للحركة الوطنية (السياسية)، ما يفسر لنا وفرة الكتابات حوله.

*- أستاذ مساعد أ في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة زيان عاشور- الجلفة.

وقد تنبه عدد قليل من المفكرين والمؤرخين المغاربة إلى غياب شخصية محمد بن الحسن الحجوي ودوره في الكتابات المغربية؛ فعزاه الأستاذ سعيد بن سعيد العلوي إلى إقصاء سياسي مرتجل بسبب مواقفه المهادنة للإدارة الاستعمارية وانخراطه فيها في عدة وظائف رسمية، مما جعله يبدو ضد التيار الوطني المقاوم للاستعمار، وربما الموقف الحاسم كان هو تأييد الحجوي للسلطان محمد بن عرفة (1886-1976) الذي عينته الحماية بدلا للسلطان الشرعي محمد الخامس (1909-1961)، وقبوله وظيفا مخزنيا في فترة وجيزة من عهده القصير[1].

أما الأستاذ عبد الإله بلقزيز فاعتبر أن الحجوي وأحمد بن المواز (؟- 1922) وغيرهما قد تعرضوا لـــ"فيتو سياسي" رغم أن أبا شعيب الدكالي (1878-1937) ومحمد بن العربي العلوي (1884-1964) أيضا...قد ساهما في المخزن من خلال وظائفهما المتعددة، وخضعا لسلطات الحماية ولم يتعرضا لما تعرّض له سابقهما[2]، ويمكن القول أن العربي العلوي مثّل المصلح الداعية أما الحجوي فمثّل المصلح المفكر المنظر، كما نجد أيضا أن العربي العلوي استفاد من كثرة تلاميذه وأنصاره، أما الحجوي فلا تلاميذ له[3].

ورغم أن علال الفاسي(1910-1974) يُقر بأن الحركة الوطنية المغربية هي سليلة الحركة الإصلاحية السلفية التي عرفها المغرب، والقائمة على العودة للأصول الدينية، والمتجسدة في مظاهر وتيارات متعددة، إلا أن الغريب حقا أنه لم يُشِر لا بالتصريح ولا بالتلميح لشخصية محمد بن الحسن الحجوي في كتاباته وخطاباته الكثيرة. رغم أن إسهامات الحجوي الوظيفية (المخزن) والعلمية والإصلاحية وحضوره في الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب ومعاصرته للفاسي تفرض نفسها عليه.

وموقف علال الفاسي نجده أيضا عند محمد الحسن الوزاني (1910-1978) في مذكراته والمؤرخ المغربي عبد الكريم غلاب (1922-؟) في دراساته حول تاريخ المغرب الأقصى، بل نجد هذا الإقصاء حتى في دراسة فكرية مركزة مثل دراسة محمد عابد الجابري (1936-2010)في تطور الانتيليجانسيا المغربية (عام 1983)، حيث لا نجد ذكرا للحجوي مع أنه ذكر معاصريه ومن أهم أقل دورا منه مثل: أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وسعيد حجي...، ولعل التبرير الذي يُلتمس للجابري- المعروف بموضوعيته- هو أن أعمال الحجوي لم تكن قد خرجت من الأرشيفات، وسمح بنشرها وتداولها وقت تحريره مؤلفه[4].

وما يعكس لنا حجم الإقصاء الذي تعرض له الحجوي، هو أنه حتى العامة من الناس في المغرب قد هجرت المسجد المجاور لقبره، لذا نقلته الحكومة إلى مكان مجهول كما تذكر معلمة المغرب.[5]

وهذا الواقع هو الذي دفع عددا من المؤرخين والباحثين المغاربة إلى ضرورة التمييز بين الإنتاج الفكري والنشاط الإصلاحي للحجوي في فترات معينة وبين مواقفه السياسية في هذه الفترات أو بعدها.

2- تصور الحجوي للحماية الفرنسية: لقد ساهمت عدة عوامل في صياغة موقف الحجوي من الحماية الفرنسية، تجاوزت العوامل السياسية المباشرة إلى عوامل أكثر عمقا، فالحجوي فقيه مجتهد وموظف مخزني سامٍ تدرج في مناصب كثيرة على عهود أربعة سلاطين (كاتب في الجمارك، سفير للملك، نائب الصدر الأعظم في وزارة المعارف والتعليم) في مراحل متعددة من حياته، اطلع من خلالها على حاجة بلاده إلى الإصلاح والنظام، كما أنه تاجر عارف بالتجارة والمال وشؤونهما وأهميتهما في الحياة العامة، إضافة إلى إدراكه واستيعابه للأوضاع الدولية من خلال رحلاته إلى أوروبا وتونس والجزائر...[6].

إن الحجوي لم يكن وحيدا في تحمسه للحماية وإقراره بمبدأ التعامل النفعي معها، فقد كان يدرك أن المخزن المغربي كان ضعيفا وعاجزا، وأن فرض الحماية لا يمس بسيادة الدولة، كما أنه سيوقف استمرار التمردات والفتن الداخلية والضغوطات والامتيازات الأجنبية ويفرض "النظام".[7]

ففي إحدى محاضراته نجد الحجوي يدافع عن التحالف مع الحماية إذا ما كان هدفها أن تأخذ: "بيد الأمم المخلدة إلى التقاعس والتناعس؛ فتنهض بها، وتلقح فيها اليقظة والتنافس، فتعلم وتهذب، وتحبّب وتقرّب، وتعمر ولا تخرّب، وتحترم العواطف والدين"[8]، ومن المصلحة والواجب عند الحجوي الاتحاد معها حتى "تنهض بالمغرب من كبوته للمستوى اللائق بمجده التاريخي ومكانته بين الأمم"[9]، ولعل المصطلح الذي أبدعه الحجوي للحماية يفسر تصوره لها حيث وصفها في إحدى محاضراته بـــ"الحماية التحديثية".[10]

وفي سياق دفاعه عن تحالف الحجوي مع الحماية يتساءل الأستاذ عبد الإله بلقزيز: لماذا أعابت الحركة الوطنية على الحجوي تأييد الحماية، وتقدمت هي في **1934** بمطالب

الشعب المغربي التي تطالب أساسا بتطبيق معاهدة الحماية؟[11]

وحتى المؤرخ المعروف عبد الكريم غلاب عاد مؤخرا ليكتب بأن الحماية الفرنسية أنقذت المغرب من خطر التمردات الداخلية والتقسيم بين الدول الأوروبية العديدة.[12]

وتأييد الحجوي للحماية ينطلق من أمور ثابتة وواضحة، هي نشر العلم والثقافة، وفرض النظام وإشاعة العدل وتحقيق الرفاهية، وأي مساس بهذه النقاط جعل الحجوي يوجه نقده إليها دون تلكؤ؛ فندد- مثلا- باعتداء فرنسا على المقدسات الإسلامية ونهبها للأوقاف، وبعد صدور الظهير البربري أعرب عن خيبة أمله من الحماية الساعية بهذا الظهير إلى ضرب القومية المغربية والدين الإسلامي بالمغرب، ودعاها لإيجاد حل حقيقي لهذا الانتهاك الخطير، كما ندد بغياب العدل وإفلاس الاقتصاد المغربي بسبب المنافسة الخارجية واغتصاب الأراضي لصالح المعمرين.[13]

والحجوي رغم قربه من الحياة السياسية، وشغله وظائف هامة بالمخزن إلا أنه لا يؤمن بجدوى الادعاء الوطني التحرري؛ فهو يُراهن على العلم والدين والأخلاق والتطور التي تعد الحماية أكبر ضامن لها- رغم بعض أخطائها-، ويبدو أن خصومه الذين سيمارسون عليه الإقصاء بعد تحقق استقلال المغرب احتفظوا له بموقفه من شعارات الوطنين المغاربة التي كانوا يرددونها في الثلاثينيات من القرن العشرين؛ ففي محاضرة شهيرة له بمكناس قال: "... دعوني من الزخارف الساحرة والمدنية الكاذبة والتشدق بالخطب الجوفاء وحب الزعامة الذي دبّ فينا فرضُه من الشرق حاملا طبولا في طنطنة الوطنية الوهمية والجعجعة ولا طحين، أين العلم والدين والأخلاق؟..."[14]

ويدافع الحجوي عن موقفه الرافض لمظاهرات المطالبة بالاستقلال باعترافه أنه لم يتحمس لأول ثورة بالمغرب تطالب بالاستقلال صراحة عام **1944**، لأنه رأى فيها ضررا بأمة المغرب العزلاء من السلاح أمام فرنسا المسلحة بأسلحة أمريكية حديثة، ولأن حفظ الدماء مقصد شرعي. والأفضل في اعتقاده أن "تخرج الشوكة دون دم" أي تحقيق الاستقلال دون صدامات مع فرنسا.[15]

وهذه الحادثة تعد نقطة حاسمة وفاصلة في تصنيف الإصلاحيين في المغرب، حيث انقسم حولها التيار الإصلاحي في المغرب، فتحفظ الحجوي منها، بينما أيّد محمد بن العربي العلوي هذه

الخطوة، وأشاع عن الحجوي العمالة والخيانة، وزاد في تطرفه- كما يقول الحجوي-، رغم أننا نلمس من خلال مؤلَّف الحجوي "أهم الأخبار عن حرب الثأر..."، أنه كان مؤيدا للسلطان في مطالبته بالحقوق وفي: " ...حبه لشعبه وسعيه فيما يعود برقيهم..."، لكنه يختلف معه في الطريقة التي يتوصل بها إلى ذلك.[16]

كما أنه من الإنصاف الإشارة إلى أن الحجوي كان متمسكا بالدولة العلوية وتمثيلها للمغرب حيث كتب: "فالدولة العلوية هي الدولة الحالية، والحمد لله لم تنقرض ولا تنقرض إن شاء الله، فلا تزال شامخة البنيان...، مؤيدة بمولانا السلطان بن السلطان...، دام نصره ونعّص عيش كل من يريد إساءة لهذه الدولة أو هضم جانبها أو جانب رجالها...".[17]

ولكن يبدو أن الشباب الوطني هو من كان وراء دفع السلطان لمطالبة الحماية بعزله عام 1947 من نيابة الصدارة العظمى في وزارة العدلية، مما جعله يرد بتأييده لفرنسا ومبايعة محمد بن عرفة بعد ذلك.[18]

3- الإصلاح عند الحجوي: يمكن القول أن إسهام الحجوي في مجال الإصلاح قد تمثل في توسيع مفهومه وإعادة ترتيب عناصره، فرغم أنه لم يُضف شيئا جديدا لِما ناضل من أجله من سبقه أو عاصره من المصلحين المغاربة خلال القرن التاسع عشر فيما يتصل بمناداتهم بالعودة إلى الأصول أو من حيث خطابهم الديني (الحجج التي استعملوها)، أمثال محمد بن المدني قنون (توفي 1302هـ/1884)، أبو عبد الله السنوسي (توفي 1350هـ/1932م)، أحمد بن خالد الناصري (1835-1897)، محمد بن عبد الكبير الكتاني (1290-1327هـ.1873-1909م)، أبو شعيب الدكالي، محمد بن العربي العلوي...[19] إلا أنه ركز إصلاحه في الدعوة إلى النهوض بالاجتهاد لتفعيل التحديث أكثر من تركيزه على محاربة البدع واستنكار الطرقية محاضرة وتأليفا.

وفيما يتعلق بالمرحلة السابقة للحجوي، فيمثل محمد بن عبد الكبير الكتاني أهم مصلح حاول الخروج بالإصلاح من الميدان الديني إلى ميادين أخرى: العدل، التعليم...، ما جعل إسهامه يدخل في إطار الإصلاح السياسي حيث وجه نصيحته (نصيحة أهل الإسلام) إلى السلطان باعتباره أمير المؤمنين مُركزا على العودة إلى الأصول، وإشاعة الحرية والعدل، والنهوض بالتعليم وإصلاحه (التفسير والحديث)، والتصدي للأوروبيين (الكفار)، وتجنب

مخالطتهم كحل وحيد لخلاص المغرب من الضغوطات الأجنبية التي تضيق الخناق عليه يوما بعد يوم، خاصة مع بداية القرن العشرين.

ولكن دور محمد الكتاني- على أهميته- مثل إعادة للفعل السياسي إلى الطرق والزوايا الصوفية.[20]

وينطبق الحكم نفسه على المصلح عبد الله بن الأعرج السلميانى الذي ألف كتابه "اللسان المعرب" عام **1911** في شكل نصيحة للمخزن لتدارك أخطائه في مجال العدل والتعليم والتسيير...[21]

ولكن هذه النصائح وغيرها لم تُعاصر الحماية كتحد قائم فتحاول مواجهتها، كما لم يُتح لأصحابها ممارسة أي دور فعلي لتطبيق هذه الإصلاحات كما حصل مع الحجوي، الذي عاصر الحماية من فرضها إلى نهايتها، كما يعد أكثر المصلحين تأليفا ونشاطا وتقلدا للمسؤوليات في المخزن العلوي.

أمّا ما كتبه آخرون كأحمد بن المواز في "خطوة الأقلام" وأحمد الصبيحي السلوي **(1300-1363هـ/1882-1944م)** في "أصول أسباب الرقي الحقيقي"...فهي أعمال معزولة ويتيمة اتسمت بالقلة وعدم الانتشار والتأثير، ولم يواصل أصحابها إصلاحاتهم التي دعوا إليها.[22]

4- معالجة الحجوي لمشكلة البدع والخرافات: لم يكرس الحجوي كل جهده الإصلاحي لمحاربة البدع والخرافات والطرق دينيا وسياسيا كما فعل مصلحون آخرون، أمثال أبي شعيب الدكالي أو محمد بن العربي العلوي[23]؛ فأسلوب الحجوي يختلف عن أسلوبهم؛ فهو يعتبر البدع والطرقية نتيجة وليست سببا، نتيجة للجهل وضعف التعليم وجموده والابتعاد عن الأصول، ويبقى كتابه "صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد" من أهم آثاره التي عكست لنا موقفه وأسلوبه من البدع.

فقد ألف كتابه للرد على بدعة حادثة في المغرب عام **1337هـ (حوالي 1918)**، تمثلت في قيام الناس عند قراءتهم لمنظومات مدح الرسول صلى الله عليه وسلم عند ذكرهم لميلاده، فاعتبر العمل بدعة وتقليدا للنصارى الذين يفعلون ذلك: "...لذكر ولادة عيسى عليه السلام؛ فمن هناك أخذه الفاعلون له، ونُهينا نحن عن التشبه بهم في الأمور الدينية"[24]، أما أسلوبه فهو المحاججة بالدليل من الأصول واجتهادات العلماء من المالكية وغيرهم، ما يعكس لنا سلفية

الرجل وتحرره الفقهي.[25]

ويبدو أن تأليف الحجوي مرة ثانية في موضوع البدع كان اضطرارا للرد على ابن المواز الذي رد بتأليفٍ على ما ورد في كتاب الحجوي "صفاء المورد" فأصدر الحجوي كتابه: "الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين مما يخالف الدين" داعيا مخالفيه إلى الالتزام بالدليل القاطع والاحتكام إلى القرآن والسنة[26]؛ فنلاحظ كيف أن قضية البدع شكلت اختلافا بين مصلحين مخزنيين رغم اتفاقهما على ضرورة النهوض والتحديث خاصة على الصعيد التعليمي.

وعموما نجد موقف الحجوي مختلفا عن أحمد بن خالد الناصري السلاوي المؤرخ (1835-1897)، فالسلاوي لم يفرق بين التصوف والطرقية، باعتبار الأول باطنا والثاني ظاهرا وتجسيدا له.[27] أما الحجوي فيفرق بين التصوف الذي يعتبره "زبدة العمل بالشريعة"، وأيضا "فلسفة كمالية لعلمي التوحيد والفقه"[28]، وبين الطرقية التي زاغت عن المقصود، وانصرفت إلى الفروع والسفاسف، وفرقت الأمة إلى طرق وفرق.

كما أنه قد أنصف الصوفية في كتابه "الفكر السامي" بسرد حججهم وسيرهم وصلتهم بالأصول، ثم تبيان كيف انحرفت عبر تاريخها الطويل، وصارت عاملا من عوامل التخلف والجمود.[30]

ويتأكد لنا هذا الموقف المعتدل من التصوف في مسألة "السبحة" التي أفرد لها بحثا في كتابه "الفكر السامي" حيث اعتبرها نظاما للأذكار التي أقرتها السنة النبوية، رغم أن أصلها غير إسلامي؛ فهي بدعة مستحسنة، أما وضعها على العنق واتخاذها شعارا في الأسواق فهو رياء وتفريق للجماعة الإسلامية.

ويروي القاضي المغربي أحمد سكيرج (1878-1944) حوارا طريفا دار في إحدى المسامرات عام 1929، بينه وبين بعض الوزراء المخزنيين والمصلحين والعلماء من المغرب وتونس والجزائر... حول موضوع الطرق؛ فروى كيف واجهه محمد بن العربي العلوي بقوله: "الطرق بدعة يتعين محاربة أهلها باللسان والبنان، وكل ما هو داخل في حيز الإمكان"، وأيده أبو شعيب الدكالي في موقفه، أما الحجوي فقال: "إن أهل الطرق لو نقصوا من ترهاتهم شيئا قليلا، ونحن-يقصد المصلحين- نقصنا من لهجتنا شيئا قليلا لحصل الوفاق بيننا وبينهم"[32]؛

فهذه الحادثة تظهر لنا سعي الحجوي إلى توجيه اهتمامه إلى الجانب العلمي أكثر من الحرب على الطرقية باعتبارها ليست العدو الأول.

5- الاجتهاد عند الحجوي: حتى يميز نفسه عن العلماء المحافظين وحتى بعض المصلحين أجمل الحجوي فكره الديني الأصولي المتحرر في مقولته الشهيرة: "أما عقيدتي فسنية سلفية، أعتقد عن دليل قرءاني، برهاني ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الراشدون، مالكي المذهب ما قام دليل".[33]

ويربط الحجوي تخلف المغرب في مختلف شؤونه بأسباب عميقة وبعيدة، لا تتعلق بالمظاهر المادية بل بالجوانب الفكرية الدينية، وعلى رأسها قضية الجمود والتقليد في الحياة الفقهية، فنجده يعزو تطور الموحدين إلى نهضة الفقه الإسلامي على عهدهم، ويربط انحطاط المرينيين وجمود القرويين في زمانهم باحتكام الناس إلى فروع المذهب المالكي ونسيانهم الأصول.[34]

وحتى يقنع الحجوي جمهور الفقهاء بأهمية الاجتهاد وعلاقته بالتقدم، فقد اعتبره نتيجةً وتعبيرا عن التنافس المتجدد بين علماء الدين (الفقهاء) وعلماء الدنيا (المبدعين).[35]

ومن الملفت في فكر الحجوي الإصلاحي المتحرر هو تركيزه على إثبات العلاقة والتعاضد بين العقل (الذي يمثل عنده العلوم ومناهجها وروح العصر ومنجزات أوروبا) والنقل (التراث الإسلامي عموما وليس الشريعة فقط) في أكثر من مناسبة، ففي كتابه "الفكر السامي" نجد هذه النقطة تتكرر في أكثر من موضع.[36]

ويُعلل الحجوي سبب انقطاع الاجتهاد بكون الفقهاء مقلدين لا إلمام لهم لا بقواعد اللغة ولا بالأصول الفقهية، بل صار مختصر خليل عندهم قائما مقام الكتاب والسنة، فهم حسبه خليليون وليسو مالكيين.[37] كما أعاب الحجوي على الفقهاء المقلدين انشغالهم بدراسة مناقب أئمة المذهب بدل دراسة الفقه.[38]

وللنهوض بفكر الاجتهاد ومحاربة التقليد والجمود دعا الحجوي إلى تأليف كتب دراسية في الفقه توافق المستويات التعليمية للطلبة، مع منع الدراسة في كتب المتأخرين من مختصرات وشروح وحواشي، وهذا حتى يتعود الطلبة على الاستنباط من الأصول مباشرة.[39]

كما مارس الحجوي الاجتهاد فعلا لا قولا، ودخل في سجالات مع الفقهاء المحافظين في عدد من القضايا الدينية والمعاملات الاقتصادية والعلمية والمواقف السياسية، فدافع عن رأيه في

وجوب العمل بالخبر الشرعي (الصوم والإفطار) بواسطة التلغراف والتيليفون لتوحيد الرؤية، وجواز قراءة القرآن أمام مكبرات الصوت (المذياع)، ووجوب زكاة الأوراق المالية، وضرورة التعامل بالصك المالي (الشيك)، وضرورة التأمين على الأموال والبضائع والشركات... [40].

ومن اجتهاداته المهمة الشهيرة اعتباره إنشاء المدارس التجارية والصناعية والحرفية فرض كفاية على الأمة. وجواز إنشاء الشركات ذات الأسهم.

ومن الشواهد التي تعكس اهتمام الحجوي بالتعليم رده على الفقهاء الذين أفتوا بحرمة الصور الشمسية والتماثيل المجسمة على الإطلاق، بأن هذا المنع هو: "منع للأمة من رقي عظيم، الوقت الحاضر لا يقبله بحال"، مبررا اجتهاده بقوله: "لأن التصوير الشمسي صار ضروريا في الأمور التعليمية بالمدارس والسياسية والحربية والتاريخية"، وتنطبق الرخصة نفسها على التماثيل للغرض التعليمي.[41]

ويُعد كتاب الحجوي الشهير: "الفكر السامي في الفقه الإسلامي" الذي طبعه عام 1918 خلاصة رؤيته وتصوره للنهوض بالفقه وتحريره للوصول إلى الاجتهاد. حيث تتكرر فيه دعوة الحجوي للاجتهاد، منها تخصيصه عناوين كاملة لإثبات ضرورة الاجتهاد مثل: "وقوع الاجتهاد في العصر النبوي. أصول الفقه انتهت في العصر النبوي والفروع لم تنته بعد لذا شرع الاجتهاد. وجوب الاجتهاد عل العلماء بعده عليه السلام. الفقه الإسلامي أصل التمدن العصري الحديث"[42] والمجتهد شروطه أقسامه تجزؤه،[43]. أسباب الهرم (الفقه) ترك الاجتهاد واختصار الكتب. الاختصار هو الذي أفسد العلوم كلها. من زمن خليل تخدرت الأفكار بالاختصار وتطور الفقه في طور الانحلال والهرم،[44]لم يكن المقلد يسمى عالما وسبب ذلك. كل المجتهدين كان يقصد غاية واحدة وهي استنباط الحكم متوخين الوصول إلى مراد الشرع لكن تنوعت أفكارهم. أمثلة من اجتهاد الخلفاء.[45]

وقد اعتبر عدد من المفكرين والدارسين ظهور كتاب "الفكر السامي" اجتهادا في حد ذاته، فاعتبره عبد الإله بلقزيز- مثلا- محطة ختامية في مرحلة التأمل والتنظير التي عرفها التجديد المغربي، والتي جاءت بعدها مرحلة الانطلاق العملية التي ستظهر في شكل سياسي مع الثلاثينات.[46]

ولهذا يمكننا القول أن الحجوي قد مثّل السلفية أو الإصلاح المقاصدي الذي يستجيب

لمختلف متطلبات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.[47]

6- التفسير: دعا الحجوي إلى إعادة الاعتبار لعلم التفسير باعتباره رجوعا للأصول ووسيلة لاستنباط الأحكام وفتح باب الاجتهاد، رافضا الخرافات المحيطة بمنع هذا العلم من كونه يتسبب في موت السلطان كما كان شائعا عند المغاربة، وقد شرع الحجوي بنفسه في إلقاء دروس في التفسير، مستغلا مكانته العلمية والاجتماعية والمخزنية للرد على المعارضين له.

ويكفي أن نعلم بأن الحجوي قد ألقى دروسا في التفسير في مساجد عدة بفاس والرباط ووجدة... وحتى في الزيتونة بتونس، التي أثنى عدد من علمائها على طريقته ورسوخه في هذا العلم، وطبعوا تفسيره ونشروه بتونس.[48]

7- إصلاح التعليم: لم يكن الحجوي أول من تنبه إلى أهمية إصلاح التعليم وتطوير برامجه، فقد سبقه إلى ذلك كل من تبنى طريقة النصيحة للسلطان أو المخزن، فأحمد بن المواز خصّص تأليفا للموضوع بعنوان "خطوة الأقلام في التعليم والتربية في الإسلام"، وخصّص ابن الأعرج السليماني جزءا من كتابه "اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب" لإصلاح التعليم[49]؛ ففي رسالة إلى السلطان عبد الحفيظ انتقد الحجوي حالة التعليم بالمغرب، واستغرب انعدام إدارة للتعليم والمعارف ومدارس حقيقية قياسا بما هو موجود في مصر وتونس.[50]

فمن حيث برامج التعليم، انتقد طول المدة التي يقضيها التلاميذ في الدراسة من أجل تمكنهم من تركيب الكلمات وتحسين الخط، وفي أحيان قليلة حفظ القرآن[51]، بل إن أهم نقطة جعلت الحجوي يؤيد الحماية هي اهتمامها بفتح المدارس والنهوض بالتعليم، باعتباره "أسمى مبدأ وأعلاه".[52] وأيضا اعتباره أن كل ما قام من نهضة (إصلاحات) في المغرب هو مجرد نهضة (إصلاحات) حكومية شكلية وليست نهضة "الأمة" ككل.[53]

وقد ظل الحجوي وفيا لمطالبه بتأليف الكتب الدراسية الملائمة للمنهج التحديثي العلمي الذي دعا اليه، ففي عام **1931** كتب محاضرته إلى مؤتمر اللغة والآداب العربية في تونس بعنوان "نقد كتب الدراسة للعلوم العربية بإفريقيا الشمالية"، بسط فيه منهاجه المقترح للإصلاح بإضافة مواد دراسية (التاريخ، معجم لغوي حديث...) ومؤلفات علمية مناسبة لكل مرحلة، وعرضٍ لطرق تربوية كالأمثلة والتمارين والتطبيقات...[54]

وسنتناول مساهمة الحجوي في إصلاح جامع القرويين دون التطرق إلى دعواته الكثيرة للاهتمام بالتعليم، وهي دعوات يتقاطع بل يتطابق فيها الحجوي مع مصلحين آخرين، أمثال ابن الأعرج السليماني وابن المواز ومحمد بن عبد الكبير الكتاني...

1-7- إصلاح جامع القرويين 1914: هل كان الحجوي يعلم بأهداف إدارة الحماية من عزمها على إصلاح القرويين؟ الأهداف التي قررها "بول مارتي" **Paul Marty (1882-1938)** مدير الشؤون الأهلية، متمثلة في توجيه القرويين توجيها فكريا فرنسيا، ومنع الشباب المغربي من الهجرة للدراسة في المشرق العربي، حيث أفكار الجامعة الإسلامية والقومية العربية؟...يبدو أن الحجوي كان يعلم بهذه الأهداف، ولكنه يعتبر استمرار جامع القرويين على جموده هو وضع أكثر سوءا من قبوله بهذه الإصلاحات، التي أشرف عليها الحجوي- بنفسه- باعتباره نائب الصدر الأعظم في وزارة العلوم والمعارف **1330**هـ.[55]

ولكن يجب أن نلاحظ أن الحجوي قد بدأ الدعوة إلى الإصلاح العلمي والاقتصادي قبل فرض الحماية على المغرب بسنوات، سواء من خلال رسائله إلى السلطان أو تقاريره الدورية أو من خلال ما ورد في مؤلفاته فيما بعد. ولهذا يبدو أن الدراسات التي تصور لنا الحجوي مجرد مُنفذ وفيٍّ لإرادة الحماية فقط قد بالغت في نزع المبادرة عن الرجل، وأنكرت دوره الفعلي المستقل في صياغة نظام الإصلاحات، من خلال "المجلس التحسيني" الذي تشكل بمقتضى هذه الإصلاحات- كما سنرى.

إن الحجوي شخصية فقهية وتاجر براغماتي فهو لا يهتم بمن يقوم بالإصلاح؟ بل يهتم بقضية لماذا يقوم بالإصلاح وماذا يجني منه؟ فهو يقيس إصلاحه بمدى تطابقه مع مبادئ الدين الإسلامي والقومية العربية المغربية.[56]ما يبرز لنا مدى تأثره بالشيخ محمد عبده في تركيزه على العقيدة والإصلاح، وتفريقه بين السياسة والشريعة، وتبنيه مبدأ "النفعية"، حيث نجد في مواضع عدة إشادة الحجوي بالشيخ محمد عبده وإصلاحه للأزهر ودعوته التجديدية.[57]

فمن الموضوعية إذن أن نقول أن الحجوي قد وقف بين تصور الحماية وتصور المخزن لقضية إصلاح القرويين؛ فمنذ سبتمبر **1912** وجّه السلطان رسالة إلى العلماء يدعوهم إلى تنظيم القرويين كغيره من المؤسسات العصرية، ولكن هذا التنظيم اقتصر على ضبط عدد الأساتذة لتحديد رواتبهم. رغم إن إدارة الحماية تحججت بعجز الميزانية فاعتمدت اثنتا عشر

أستاذا من مجموع سبعين أستاذا الذين اعتمدهم المخزن.[58] أما مشروع إصلاح القرويين الذي تبنته الحماية فسرعان ما تراجعت عن دعمه ماديا في13 جوان 1914 تاركة "المجلس التحسيني" يقوم بمهمته.[59]

انتقد الحجوي مستوى التعليم في القرويين؛ فاعتبره ابتدائيا مقارنة بمصر أو تونس...، رغم أن التلميذ يقضي سبع أو ثماني سنين بها، كما انتقد انعدام الأقسام والفصول والتنظيم في الدروس، والتركيز على الحفظ في العلوم الدينية، وغياب علوم ضرورية مثل التاريخ والجغرافية والحساب والهندسة والسياسة والتفسير.[60]

وبالنسبة للأساتذة فقد انتقد مستواهم الضعيف، ودعا إلى إجراء امتحانات كفاءة تنظم التحاقهم بالتدريس، وإنهاء ظاهرة التوظيف على أساس القرابة والمحاباة.

والعلاج عند الحجوي لهذا الوضع بسيط وظاهر، فحال الزيتونة والأزهر لم يكن بأفضل مما هو عليه جامع القرويين في زمنه، ولكن "الإصلاح" هو الذي جعل مستوى طلبة المؤسستين المذكورتين أفضل، رغم أن مدة الدراسة في القرويين هي الأطول.[61]

بدأ إصلاح القرويين بتشكيل "المجلس التحسيني لعلماء القرويين" الذي أُنتخب من طرف علماء القرويين، وتداول لوضع قانون أساسي صيغ بالانتخاب أيضا، وتوصّل إلى وضع مئة مادة واثنتين، يمكن تلخيصها في العناصر التالية:

- إحداث شهادة العالمية في جامع القرويين على غرار ما هو موجود في الأزهر والزيتونة.
- ضبط قائمة الأساتذة (154 أستاذا) وزيادة رواتبهم.
- تأسيس نظام الانتقاء للأساتذة المدرسين ونظام الامتحانات للطلبة.
- تأسيس منصب شيخ القرويين وتحديد اختصاصاته.
- وضع مستويات وبرنامج للدروس.
- تحديد العطل السنوية.
- رصد مكافئات لتشجيع التأليف للمقررات الدراسية.
- إحداث نظام التقاعد.
- وضع نظام تأديبي للمخالفين للنظام.[62]

وإجمالا فأهم ما ورد في هذا الإصلاح هو تقسيم التعليم في الجامع إلى أطوار ثلاثة ابتدائي

وثانوي وعالي، مع تحديد برنامج كل طور وما يناسبه من كتب (مقررات) والحجم الزمني لكل مادة دراسية...، وطريقة تدريسها، والملاحظ هو إدراج عدد كبير من المواد الدراسية الجديدة مثل التاريخ والجغرافيا والحساب.(63)

وساهم الحجوي أيضا من خلال موقفه من الرواتب الهزيلة التي كانت مخصصة للأساتذة، فنجده في رسالة إلى الضابط الفرنسي(Mellier) طالب- بشجاعة واضحة- بحق الأساتذة في عائدات الأوقاف التي وُقفت أصلا على الجامع، وهي تزيد عن أربعة آلاف ريال شهريا، مع أن رُبعها فقط يكفي حاجات الأساتذة الذين لا يتجاوز عددهم ستين أستاذا. وهي تصرف إلى من لا يستحقها. كما شرع في جرد أوقاف المدارس والجوامع وعائداتها، ومراسلة الفرنسيين لتخصيص أموالها لصالح التعليم.(64)

ولكن بعد اصطدامه بمعارضة شديدة في القرويين من طرف الأساتذة الذين رفضوا إعادة ترتيبهم وخضوعهم للنظام الجديد، انتقل الحجوي إلى الإصلاح بعيدا عن مركز المحافظين (جامع القرويين)، أي في التعليم الابتدائي والثانوي، ففتحت مدارس عديدة في المدن المغربية، وحتى في الأرياف بدعم ومساعدة من إدارة الحماية، التي وافقت على إدراج اللغة العربية والقرءان الكريم في برامجها. وقد أشاد الحجوي بدورها مُنددا بعزوف المغاربة عن إلحاق أبنائهم بالدراسة. واستمر الحجوي في نشاطه رئيسا لأول لجنة مشرفة على الثانوية الإسلامية بفاس عام 1921 مؤكدا في كل اجتماعاتها على تحسين تدريس اللغة العربية بتحسين مستوى الأساتذة والسعي إلى إقناع المغاربة لإرسال أبنائهم للدراسة فيها.(65)

ورغم أن جامع القرويين سيعرف إصلاحات أخرى مثل إصلاح أفريل 1931 وإصلاح 10 ماي 1933 تحت رئاسة المصلح أبي شعيب الدكالي وزير العدلية، إلا أنه أقل أهمية من إصلاح الحجوي 1914، فهو قائم أساسا على منع أي حراك وطني، لأن الهدف هو وضع مجلس أعلى للرقابة وليس لتحسين وإصلاح التعليم.(66)

فأهمية إصلاح الحجوي للقرويين تنبع من ارتكازه على أربع نقاط حاسمة هي: التجديد، إحياء العلوم العربية، الانفتاح على المعارف المعاصرة، إقامة التعليم على نظام حديث. ولكن الحماية والمخزن وأساتذة القرويين كلهم وقفوا ضده.

8- المرأة في فكر الحجوي: ربما لا نجانب الحقيقة إذا اعتبرنا أن أفكار الحجوي حول تحرير

المرأة مثّلت إلى الأربعينات من القرن العشرين أقصى ما بلغه مشروع تحرير المرأة المغربية على المستوى الفكري في مجتمع ذكوري محافظ، ويبدو أن اشتغاله بالتجارة ورحلاته المتعددة وميله إلى الاجتهاد قد ساهمت كلها في تفوقه على غيره من المصلحين المغاربة في هذه النقطة.[67] بل إننا نميل مع الأستاذ سعيد بن سعيد العلوي إلى اعتبار الحجوي ثالث ثلاثة مصلحين في العالم العربي في القرن العشرين اهتموا بالمرأة.[68]

وأول مظهر من مظاهر التمييز التي اعتبرها الحجوي مسؤولة عن تخلف المرأة واعتقاد العامة بدونيتها هو حرمانها من التعليم. لذا جعل التعليم أساس إصلاح واقع المرأة، وهو أساس شرعي ديني، فقد تحدى الحجوي مخالفيه أن يأتوا بسند أو دليل شرعي واحد (قرآن، حديث...) يمنع المرأة من التعلم. بينما عرض هو أدلة شرعية وتاريخية وعقلية وواقعية تؤيد دعوته (المرأة نصف المجتمع، إسلام عمر على يد أخته التي كانت تتعلم القرءان..). ضاربا المثل بأوربا المتطورة، حيث يشيد في عدة مواضع بإجبارية التعليم الابتدائي في أوروبا على الجنسين.[69]

وربط الحجوي بين تطور المجتمع وتعليم المرأة، وقدم تجربته الشخصية مثالا، حيث تعرض لأثر جدته في شخصيته العلمية بتربيتها الحسنة له، القائمة على علم ودين، لهذا خلص إلى: "وجوب تعليمهن وتهذيبهن تعليما يليق بديننا ويزين مستقبل أولادنا ويصيرهن عضوا نافعا في هيئتنا الاجتماعية، فلا غنى لنا عن إعانتهن في تربية رجال المستقبل...".[70]

أما ما يقترحه في تعليم المرأة فيذكر: "...فن التربية ونظام البيت وقواعد الصحة والدين وحفظ القرءان أو بعضه والحساب والجغرافيا والتاريخ والعربية والأدب الحقيقي لا الخيالي...".[71]

ولكن هذا التحمس يجعل له الحجوي حدودا تطورت بتطور الأحداث، فأبعد حد تبلغه الفتاة في تعلمها هو التعليم الابتدائي، لأن المنتظَر منها ليس الوظيفة، بل إعدادها لدورها الاجتماعي: رعاية الأطفال والاعتناء بالبيت، وحتى لا تزاحم الرجال في الوظائف القليلة المتاحة واتقاءً لمطالبتها بمساواة الرجل، وهو مساس بالشريعة الإسلامية.[72]

ورغم موقف الحجوي المتشدد من سفور المرأة الذي قد يكون نشأ من مشاهداته في أوروبا لواقع المرأة، ورغم اجتهاده في جعل سن الحجاب هو تسع سنين، ورغم تنديده بكتابات

المصري قاسم أمين والتونسي الطاهر الحداد إلا أن دعوته لتعليم المرأة قد لاقت معارضة مغربية شديدة، ففي محاضرته عام **1923** حول تعليم الفتيات قاطعه الصدر الأعظم محمد المقري **(توفي1957)** رافضا الفكرة ومعه عدد من العلماء الحاضرين بمن فيهم أبو شعيب الدكالي. ولعل هذا ما يفسر ظهور الحجوي في محاضرته الثانية عام **1934** محافظا مترددا ومتشددا في موقفه من تعليم المرأة بتحديده بالتعليم الابتدائي، خصوصا وقد تزامنت مع الحملة الشرسة التي كان يتعرض لها الطاهر الحداد من المصلحين والمحافظين على السواء، ولعل عنوان محاضرة الحجوي "تعليم الفتيات لا سفور المرأة" يعكس لنا مدى تخوفه من الوسط المغربي الرافض.[73] ولكن الحجوي الذي تراجع في محاضرته الثانية عن تحرير تعليم المرأة تفوّق على معارضيه واقعيا عندما سمح لإحدى بناته بالدراسة في إحدى الثانويات الفرنسية الخاصة بالأعيان في الرباط.[74]

9- تلازم التجارة مع الإصلاح عند الحجوي: يوصف إصلاح الحجوي بأنه إصلاح ذو نزعة تحديثية برجوازية تبعا لانتمائه ولفكره المراهن على التجارة ودور التجار والمدارس التجارية في التطور والتقدم السياسي والثقافي والحضاري، وقد جعل الحجوي التجارة في الرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الدين في مشروعه التحديثي، واعتبر عددا من التجار المغاربة من مجددي المغرب وباعثي النهضة فيه لعلاقاتهم الواسعة وتنقلاتهم الدائمة إلى البلاد المتطورة...، وقد تكررت هذه النقطة كثيرا في كتاباته حيث يقول مثلا: "...لذلك تجد طائفة التجار بالأخص لها معرفة بالجغرافيا والسياسة والتاريخ وغيرها...، بل تجد منزل كل تاجر نابه منتدى من منتديات الأدب والسياسة"[75].

وقد رأينا كيف اجتهد الحجوي وأفتى بأن إنشاء المدارس الصناعية والحرفية والتجارية يُعد فرض كفاية على الأمة، وإفتائه بضرورة إنشاء الشركات ذات الأسهم، والتأمين على المراكب والبضائع والأموال، واستصدار الصكوك المالية...

ويمكن استخلاص تأثر الحجوي بالأوروبيين واليهود واليابانيين فيما يتعلق بالتجارة في مواضع كثيرة من كتاباته ونشاطاته؛ فاستنتج مثلا أن العالم صار مستعمرة يهودية بفضل تجارهم القوية، وأن اليابان تقدمت بتقدم صناعتها، بل نجده يفصل الأخلاق والسلوكات التجارية الأوروبية إلى أخلاق وسلوكات نظرية وأخرى عملية، النظرية كالمعرفة العلمية بها وبشروطها وطرقها، والعملية كالنشاط واللين والتواضع والصبر والحزم والصدق...[76]، وهو في هذا

يدعو المغاربة لتقليدهم، مُرغِّبا إياهم بالربح المادي والعيش الهنيء، ومن الطريف أن نجده يكتب قائلا: "...؛ فإن الصناع المتقنين ربما كانوا في وقتنا هذا أطيب عيشا وأكثر صحة في حياتهم من كثير من العلماء"[77].

وقد تفطنت جريدة السعادة (المغربية) إلى أن الحجوي هو أول عالم من علماء القرويين يكتب ويحاضر في موضوع اقتصادي[78].

فهل فشلُ إصلاح الحجوي حرم المغرب من نخبة برجوازية أوسع مما ساهمت به مدارس أبناء الأعيان التي أسستها سلطات الحماية في المدن الكبرى بالمغرب؟ مما انعكس على فشل تحديث المغرب اقتصاديا وسياسيا[79].

خـــاتمـــة: نخلص من خلال هذه الدراسة إلى أن الحجوي قد وسع مفهوم الإصلاح المغربي من إصلاح متجه إلى الماضي وحده، معتمد على الأصول فقط، إلى إصلاح تحديثي عملي مستشرف للمستقبل بإصلاح التعليم وتطوير التجارة، وتحرير الإنسان المغربي ذكرا وأنثى، وقد أدرك من خلال تجاربه ومناصبه ومعرفته بالمجتمع المغربي أن ذلك كله لا ينطلق إلا من تحرير الفقه المالكي بفتح باب الاجتهاد فيه، وفتح باب الاستنباط من الأصول مباشرة، لذا شجع الاهتمام بعلم التفسير وعلم الحديث باعتبارهما وسائل لا غايات، موسعا نظرية المقاصد الشاطبية المتفتحة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وقد اجتمعت النزعتان السلفية والليبرالية عند الحجوي بصيغة توليفية توافقية بين الأصالة والمعاصرة، فمثل بهذا مدرسة إصلاحية شاملة (دينية، اجتماعية، تحديثية، تعليمية، ليبرالية) لها مميزاتها بين باقي تيارات السلفية الإصلاحية المغربية: إصلاحية أبي شعيب الدكالي الدينية (الأصولية)، إصلاحية محمد العربي العلوي السلفية الوطنية، إصلاحية علال الفاسي والمكي الناصري... التحررية السياسية.

كما تزداد أهمية مدرسة الحجوي الإصلاحية- عن غيرها من المدارس الإصلاحية المغربية الأخرى- باحتفاظها بتراثها مكتوبا ومسجلا، مما ساهم في فهم أفضل لها، وفي إتاحة الفرصة للباحثين الذين تمكنوا من التمييز والفصل بين كتابات ومواقف الحجوي الإصلاحية من جهة، وبين مواقفه السياسية التي حدثت بعد ذلك.

الهوامش:

1- سعيد بن سعيد العلوي، الفكر الإصلاحي في المغرب المعاصر، محمد بن الحسن الحجوي، دراسة ونصوص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط**1**، **2007**، مقدمة الكتاب والصفحة **15.**

2- حول الدكالي، انظر: عبد الله الجراري، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، **1399**هـ، **1979م/**محمد رياض، شيخ الإسلام ،أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب، ط**1**، **1426**هـ**.2005**م.

3- للمزيد انظر: محمد الدفالي، القرويين والصراعات السياسية في مغرب الحماية (محاولة رصد أولي)، أمل،ع**2**، السنة الأولى، **1992**، ص **77.** وانظر أيضا: محمد الوديع الآسفي، السلفي المناضل الشيخ محمد بن العربي العلوي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، دط، **.1986**

4- انظر: حميد الصولبي، نازلة الحماية في نظر الفقيه المغربي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، عدد مزدوج **17/16**، **2002/2001**، ص**79.**

وقد ترك الحجوي آثارا كثيرة تجاوزت المئة بين مؤلفات تاريخية ودينية ومقالات ومذكرات وتسجيلات في الإذاعة المغربية. انظرها في:

- آسيا بن عدادة، الفكر الإصلاحي في عهد الحماية محمد بن الحسن الحجوي نموذجا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط**1**، **2003**، صص**90-.119**

5- عبد السلام بن سودة، إتحاف المطالع لوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، موسوعة أعلام المغرب، الجزء **9**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، **1996**، صص**20-33.**

6- انظر ترجمة الحجوي لنفسه في كتابه: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج**4**، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، ط**1**، **1340** إلى **1345**هـ، صص**199-.210**

7- محمد بن الحسن الحجوي، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره أو تقرير تاريخي عن حال المغرب بعد الحماية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ح **254/**شكلت كلمة النظام كلمة سحرية عند الحجوي، خصت كل تصوره لإشكالية التقدم في المغرب، وقد تكررت كثيرا في كتاباته، كما ألقى إحدى محاضراته بمعهد الدراسات العليا بالرباط بعنوان "النظام في الإسلام" انظر نصها في: محمد الصغير الخلوفي، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره دواعي الإصلاح والتنظيم مذكرة الحجوي نموذج من الكتابات السياسية في مطلع القرن العشرين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، دط، **1995**، صص**79-.111**

8- حميد الصولبي، مرجع سابق، ص **.82**

9- المرجع نفسه، ص **.82**

10- نفسه، ص **84.** اعتبر الحجوي مثلا تأسيس معهد الدراسات العليا بالرباط- مثلا- نهضة للمغرب.

11- عبد الإله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب، التكوين والمصادر **1844-1914**، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط**1**، **1997/1417**، ص**213.**

12- عبد الكريم غلاب، الحماية أنقذت المغرب، الأكاديمية (مجلة أكاديمية المملكة المغربية)، ع **25**، **2008**، ص **.111**

13- محمد بن الحسن الحجوي، تقرير تاريخي عن حال المغرب بعد الحماية، ، ص ص **14**، **.27**

14- الحجوي، التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ح**113**، ص**66.** دعا الحجوي الشبيبة العلمية المغربية إلى الابتعاد عن السياسة للتفرغ لتحصيل العلوم النافعة ولأنها: "مفسدة للأعمال معرقلة للمصالح". محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي،ج**4**، ص**212.**

15- محمد بن الحسن الحجوي، أهم الأخبار عن حرب الثأر والاستعمار والمذكرات بما له اعتبار، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ح**122**، ج**8**، ص**29.**

16- المصدر نفسه، **21.** يبدو أن هناك صراعا واضحا بين الحجوي وعدد قليل من الموظفين المخزنيين من جهة ومحمد بن العربي العلوي وأنصاره من الشباب الوطني وعدد من الموظفين المخزنيين من جهة أخرى، انعكس على الأحداث فيما بعد. للمزيد انظر: آسيا بن عدادة، مرجع سابق، ص**182.**

17- عبد الجليل بادو، السلفية والإصلاح، سليكي إخوان، طنجة، المغرب،ط**1**، **2007**، ص **326.**

18- آسيا بن عدادة، المرجع السابق، ص **210**، **.211**

19- انظر للمزيد: الفلاح العلوي، السلفية المغربية بين محمد بن الحسن الحجوي ومحمد بن العربي العلوي، المناهل، ع**61**، **2000**، صص**193-.202**

20- ونذكر بأن الكتاني هو من صاغ بيعة فاس المشروطة على السلطان عبد الحفيظ **1908**، وقد دفع حياته ثمنا لذلك. انظر:

- محمد بن عبد الكبير الكتاني، نصيحة أهل الإسلام فيما عرض لهم في هذا الوقت من داء الكفرة اللئام، فاس، **1326**هـ،**1908**م.وكذلك :

- محمد الفلاح العلوي، جامع القرويين والفكر السلفي **1873-1914**، منشورات مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د ط ، **1994**، ص ص **132**، **.134**

21- محمد السلمياني، اللسان المعرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط ، ط**.1971**،1

22- انظر: أحمد بن محمد الصبيحي السلوي، أصول أسباب الرقي الحقيقي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه أيوب بوسعاد، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، دط، **2012**. وأيضا: محمد المنوني، مواقف مغربية وأعمال في مبادرات المرحلة الأولى بعد الحماية، الموقف(مجلة ثقافية فصلية)، ع**4**، ديسمبر **1987**، الرباط، ص ص **62**، **.63**

23- تبنى عدد من المصلحين في القرن العشرين اتمام الطرقية بالعمالة للاستعمار، على رأسهم الشاب محمد المكي الناصري(1906-1994) المعروف بحربه على الطرقية في أسلوب ثوري عنيف، بالمحاضرات والمقالات والمطبوعات، مثل كتابه: (إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة)، وعلال الفاسي... للمزيد انظر مثلا: عباس الجراري، الشيخ محمد المكي الناصري جهاد متواصل وواجهات وطنية متعددة، في: فضيلة الشيخ العلامة محمد المكي الناصري جهاد الفكر والدين والتحرر، منشورات جمعية رباط الفتح، الرباط، المغرب، ط1، 2004، صص53-62/أبو عبد الله المكي الناصري، إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة، مطبعة النهضة، تونس، ط1، 1343هـ، 1925.

24- أبو عبد الله سيدي محمد الحجوي الثعالبي، صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد، دط، دت، ص13.

25- المصدر نفسه، صص2-11.

26- للمزيد انظر: محمد بن الحسن الحجوي، الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين مما يخالف الدين، مطبعة النهضة، تونس، 1339هـ، صص3-6/أحمد بن المواز، حجة المنذرين على تنطع المنكرين، طبعة حجرية، فاس، 1338هـ.

27- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص ص 144، 146 . كما له أيضا مؤلف:" تعظيم المنة بنصرة السنة".

28- يقول الحجوي:"" فالتصوف كان في مبداه رياضة وزهدا وورعا وعملا وإكثارا من الذكر والعبادة و تصفية النفس فصار من علوم الرسوم والتلويحات وفلسفة اعتقادية ولسانية وفصاحة وبلاغة وكلاما فيما وراء الحس". محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج3، ص ص 49، 55.

29- المصدر نفسه، ص 57.و ص 60.

30- نفسه، (حدوث علة التصوف ومجمل تاريخه وأطواره)، ص 48، 63.

31- نفسه، ص 52.

32- أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري، إحقاق الحق و دفع الهراء في ذكر مناظرة جرت بيني وبين بعض الوزراء، تحقيق محمد الراضي قنون، سلسلة كتب الطريقة التيجانية، دط، دت، ص ص 14، 15.

33- سعيد بن سعيد العلوي، الفكر الإصلاحي، ص 46.

34- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص 8 و ص 11،12. عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص 177.

35- إسماعيل الحسني، مرجع سابق. ص 290/سعيد بن سعيد العلوي، الفكر الإصلاحي، ص44.

36- انظر فصل الشريعة والاستدلال مثلا. ورسالته: رسالة في مسألة العقل والنقل (أو:موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول). مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ح 110 ، ذكرها: إسماعيل الحسني، مرجع سابق، ص 299 .

37- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص ص247، 248/عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص 122.

38- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ص 16.

39- عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، ص 123.

40- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ص306، 318/سعيد بن سعيد العلوي ، الفكر الإصلاحي، ص27، 28 .

41- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ص242.

42- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ج1 ، ص 164.

43- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ج4، ص 250.

44- نفسه، ص 8 .الفهرس.

45- نفسه، ج2، ص 230.

46- عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص 09.

47- عبد الجليل بادو، مرجع سابق، ص 338، 339.

48- أشاد به المفتي الحنفي محمد بن يوسف ومحمد النخلي ومحمد البشير النيفر ومحمد بن الخوجة ومحمد الصادق بسيس ومحمد الناصر الصدام... انظر محمد بن عزوز، مجالس الأنس في الصلات العلمية بين المغرب وتونس، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1432هـ، 2011، صص272، 277/محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص89.

49- انظر محمد السليماني ، مصدر سابق. ص134، 158، 161.

50- سيدي محمد المعروف الدفالي، النخبة المجددة والمسألة التعليمية 1912-1930، سلسلة بحوث ومناظرات، رقم 21، قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، المغرب، ط1، 1431هـ، 2010، ص 237.

51- المرجع نفسه، ص 238.

52- محمد بن الحسن الحجوي، المعارف في المغرب وجهود الحكومة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، ح 152، ص 1.

53- المصدر نفسه، ص 3.

54- انظر نص المحاضرة في حسن أحمد الحجوي، العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي 1757-1912، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط1، 2003، صص265-276.

55- يدافع الأستاذ عبد الله العروي عن الحجوي ووعيه الإصلاحي انطلاقا من حفاظه الدائم على استقلاله الفكري والمادي.انظر: آسيا بن عدادة، مرجع سابق، ص 115.

56- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص 31.

57- انظر مثلا محمد بن الحسن الحجوي، المصدر نفسه، ص 36/محمد الدفالي، القرويين والصراعات السياسية في مغرب الحماية، ص76.

58- محمد عمراني، حركات شباب جامع القرويين بفاس فيما بين 1919- 1934 ، أعمال الندوة الدولية حول الزيتونة: الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي ، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، ع11، ، 2003، دط، ص 451.

59- Louis Paye.Introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc, Rabat,1992, p 430.

60- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص ص 31، 32.

61- سيدي محمد المعروف الدفالي، النخبة المجددة والمسألة التعليمية ، ص 239.

62- محمد بن الحسن الحجوي، المصدر السابق، ص 31، 32 وكذلك:

- محمد بن هاشم، إصلاح جامعة القرويين بين المخططات الاستعمارية وردود الفعل الوطنية والحفاظ على الهوية الدينية والوطنية، الذاكرة الوطنية، ع 14، 2010، ص96، 95.

63- إضافة إلى الفقه والأصول والتوحيد والحديث والتفسير والتجويد والسيرة النبوية والتصوف والنحو والبيان واللغة والأدب والعروض والقوافي. المنطق. الحساب.انظر محمد عمراني، مرجع سابق، ص453، 456.

64- محمد الطوقي، الوضعية التعليمية في جامعتي القرويين وابن يوسف بين سنة 1912 و1936، مراكش الحركة العلمية ص 157. نقلا عن كناش الحجوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.ح127.

65- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص 36. وحول محاضر لجنة ثانوية فاس الإسلامية انظر محمد اليزيدي، المغاربة في مواجهة السياسة التعليمية الفرنسية بالمغرب على عهد السلطان مولاي يوسف، الدورة 12، الحماية والمقاومة على عهد السلطان مولاي يوسف، جامعة مولاي علي الشريف، منشورات وزارة الثقافة المغربية، 2005، ص ص 186، 187.

66- عثمان أشقرى، الفكر الإصلاحي الوطني والمسالة التعليمية في المغرب خلال الثلث الأول من القرن العشرين، المشروع، ع7، 1986، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ص 54. ونص ظهيري الإصلاح موجودين في : عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة في مآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ط1، 1937 ص ص 142، 163.

67- في عام 1946 ستظهر جمعية "أخوات الصفا" التي ستتولى الدفاع عن حقوق المرأة في المغرب الأقصى. انظر محمد معروف الدفالي، أخوات الصفا تنظيم نسائي رائد في التاريخ الحركة الوطنية، أمل، العدد 13، السنة 5، 1998، صص 178، 189.

68- نقصد قاسم أمين، الطاهر الحداد. انظر سعيد بن سعيد العلوي، صورة المرأة في الفكر الإصلاحي التحديثي في المغرب، في: النساء والإسلام (رقم 60)، مقاربات، كلية الآداب بالرباط، نشر الفنك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، فيفري 1998، ص 32.

69- سعيد بن سعيد العلوي، صورة المرأة في الفكر الإصلاحي التحديثي في المغرب، ص 36. نقلا عن الرحلة الأوروبية للحجوي.

70- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي،ج4، ص 202.

71- المصدر نفسه، ص 202.

72- محمد بن الحسن الحجوي، تعليم الفتيات لا سفور المرأة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ح 205/سعيد بن سعيد العلوي، الفكر الإصلاحي، صص13، 18.

73- نشر الحجوي محاضرته الأولى : المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية في تونس. أما محاضرته الثانية فنشرتها مجلة المغرب عام 1935.

74- إبراهيم أعراب، الفكر الإصلاحي السلفي بالمغرب لفترة الحماية وقضية المرأة (1912-1956)، مجلة أمل، ع13، السنة الخامسة، 1998، ص ص 112، 114.

75- ألقى الحجوي عدة محاضرات حول الاقتصاد والتجارة مثل:محاضرة بعنوان: مستقبل تجارة المغرب، في فاس ، طبعت بعد ذلك في تونس. انظر محمد الحسن الحجوي، مختصر العروة الوثقى بمشيخة أهل العلم والتقى، مطبعة الثقافة، سلا، المغرب،1937، صص19، 21/محمد الحسن الحجوي، مستقبل تجارة المغرب، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، ح 115/محمد المنوني، مرجع سابق، ص 63.

76- محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، ج4، ص 211/محمد بن الحسن الحجوي، مستقبل تجارة المغاربة، صص 461-.472

77- محمد بن الحسن الحجوي، بالاقتصاد حياة البلاد، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ح 113، ص ص 126، 130.

78- آسيا بن عدادة، مرجع سابق، 311.

79- للمزيد انظر عثمان أشقرى، مرجع سابق، ص53/محمد المنوني، مرجع سابق، ص 63، 64.